سيرة الشهيد

أبي همام القحطاني

نايف بن محمد بن سعيد الكودري القحطاني

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لم أكن أتوقع أن أكتب سيرته، أو أن أروي قصته، لأنه كان لدي شعور أقرب ما يكون إلى اليقين بأني سوف أودع الحياة قبله، ولكن الأعمار بيد الله تعالى، واليوم ها أنا ذا أحاول أن أبين وأوضح ما خفي على الناس من سيرته وأخلاقه وصفاته من خلال ما يقارب الثلاث سنوات ونصف قضيناها سوياً في أرض الجهاد في يمن الحكمة والإيمان، عرفت فيها ما لا يعرفه الكثير من الناس عن هذا الرجل.

التقيت بأبي همام (نايف بن محمد بن سعيد الكودري القحطاني) في منطقة "وادي آل أبو جبـــارة" في بـــلاد وائلة بولاية صعدة عام ١٤٢٧هـــ وكان عمره حين ذاك تسعة عشر عاماً، فرأيت فيه شاباً متوقد الذهن، دمث الأخلاق، وأعجب ما رأيت فيه رجاحة عقله بالرغم من صغر سنه.

وفي "وادي آل أبو جبارة" كانت البداية، حيث أعد نفسه بما يستطيع من العلوم، فتعلم وتدرب على أنواع الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والثقيلة والمتفجرات وبعض فنون القتال، كما أعد نفسه فكرياً ونفسياً، حيـــث كان رحمه الله يحرص على تعلم كل شيء يخدم به أمته ودينه، وتعلم كذلك بعض المهارات الإعلامية الـــتي ساعدته فيما بعد على إعداد العدد الأول من مجلة صدى الملاحم وبمجهود فردي.

وبعد أن أتم فترة الإعداد انظم إلى إخوانه العاملين، فشارك في إعداد العملية المباركة ضد السواح الأســـبان الصليبيين في مأرب، والتي قتل فيها (٨)أفراد من الوفد الاستخباري الأسباني ولله الحمد والمنة، وكانت هذه العملية فاتحة خير له، وبداية موفقه لمشواره العملي.

وبعد هذه العملية المباركة بفترة وجيزة التقى الشهيد – كما نحسبه– أبو همام بالأمير القائد أبي بصير ناصر الوحيشي حفظه الله، وانظم الشهيد إلى أفراد التنظيم فكانت هذه الخطوة نقطة تحول في حياته رحمه الله.

وكما هي العادة في كل من جالس أو عاشر أبا همام فقد أعجب الشيخ أبو بصير بالأخ أبي همام وبهمته العالية وصبره وحسن خلقه؛ مما جعله يهيئ له الظروف والإمكانيات –مع قلتها في ذلك الوقت– لينبت بعد توفيق الله النبتة الصالحة بميلاد مجلة صدى الملاحم، والتي كان لها دور رائد في حربنا ضد الصليبيين وأعوانهم على الصعيد الفكري والإعلامي، وتسببت المجلة بفضل الله في رجحان كفة المجاهدين في حرب القلوب والعقول، وهذا بفضل الله ثم بجهود إخواننا الذين قاموا على إنشاء الجهاز الإعلامي للتنظيم وعلى رأسهم الفقيد أبو همام القحطاني، حيث أنه وكما ذكرت قام على العدد الأول من المجلة بمفرده، وقد سماها "صدى الملاحم"، وبعد إصدارها والترحيب الذي لاقته من المسلمين زاد رحمه الله من مجهوده، وقام على إنشاء جهاز إعلامي متكامل، إضافة إلى قيامه على المجلة، وبالفعل فقد وفقه الله بانضمام مجموعة من الإخوة المتخصصين في مجال الإعلام الجهادي.

وأذكر في هذا الشأن قصة تبين همة إخواننا وصدقهم مع الله كما نحسبهم، فقد كان أبو همام جالساً مع بعض إخوانه ومن بينهم أبو الخير العسيري –رحمهما الله– فتمنى كل واحد من الإخوة أمنية، تمنى أبو الخير عملية استشهادية في بلاد الحرمين، وتمنى أبو همام أن يقوم بإنشاء مؤسسة إعلامية؛ فكان لكل واحد منهم ما تمنى، فنفذ أبو الخير عملية استشهادية على الطاغوت محمد بن نايف، ووفق الله أبا همام لإنشاء مؤسسة إعلامية "مؤسسة الملاحم" وبطاقم فني متكامل، بعد أن بدا المشوار بمفرده وبجهاز كمبيوتر محمول، وهكذا تُذللُ هممُ الرجال قممَ الجبال، بهمة وعزيمة وبذل وتضحية وجهد متواصل وإتباع النجاح بالنجاح، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وبعد أن اكتمل البناء وأينعت الثمرة، وأصبحت المؤسسة الإعلامية قائمة بذاتها مكتفية بكوادرها وأفرادها، لا يؤثر فيها غياب أحد ولو كان المسؤول عنها، اطمأنت نفس أبي همام وقرت عينه وهو يرى هذا المشروع وقد تم وأصبح حقيقة بعد حلم، فقرر أن ينتقل إلى المجال العسكري –والذي لم يكن أقل إبداعاً فيه من الجانب الإعلامي–؛ فأكمل ما كان ينقصه من العلوم العسكرية، وقام بتدريب عدد كبير من الإخوة، وأقام مع إخوانه معسكر الشهيد أبي الخير العسيري، وقد كان الجد والاجتهاد والصبر والمصابرة شعاره وعنوانه، فلا تراه إلّا في عمل، ولا تخطؤه العين في أماكن الإعداد والرباط.

وإضافة إلى ما كان يتمتع به من إبداع ومعرفة، فقد كان يحمل قلباً لا يعرف الخوف، وجناناً ثابتاً لا تروعه الأهوال، وقد كنت أتعجب من فرط شجاعته وإقدامه؛ فقد كان كما قال الشاعر:

ترى الرجلَ النحيل فتزدريهِ وفي أثوابه أسدٌ هصورُ

وأما أخلاقه فحدث ولا حرج؛ فقد كان –وبشهادة جميع من عرفه– صاحب خلق رفيع، مع لين جانب، وسهولة في التعامل، وكرم نادر؛ فقد كان يعطي أفضل ما يملك لإخوانه، وكان رحمه الله لا يرد أحداً سأله في أي شيء يملك، وكان حريصاً على العمل في أرض الحرمين والإعداد لذلك، ولكن الظروف حالت بينه وبين ما يريد.

فلله درك يا أبا همام، لقد عشت حياة لم تتجاوز الخمسة والعشرين عاماً، لكنك خضت فيها من التجارب وتعلمت فيها من العلوم ما يعجز عنه كثير ممن شابت لحاهم ولم يغبروا أقدامهم في سبيل الله يوماً أو يناموا مفترشي الأرض وملتحفي السماء تحت هدير الطائرات ولو مرة واحدة، ولم يخافوا في سبيل الله ساعة، ولم تبت عيونهم تحرس في سبيل الله ليلة من الليالي، ولم ينكئوا جرحاً لأعداء الله.

فنم قرير العين؛ فمثلك قليل، وقد آن لك أن تلقى ما قدمت من حسن عمل عند رب كريم رحيم عظيم.

هنيئاً لك الشهادة؛ فقد كنت تطلبها وتتمناها.

وإني لا أزال أتذكرك في آخر أيامك في الدنيا وأنت تسأل الله أن يرزقك الشهادة صادقاً فنلتها كما نحسبك ولا نزكيك على الله.

قد آن لك أن تلقى حسن الجزاء عند ربك بعد أن كنت سابقاً وسباقاً للخير ومراغمة الطواغيت وإغاظة أعداء الدين بثباتك وعملك.

أسأل المولى القدير أن يجزل لك الأجر والمثوبة، وأن يجعلك من سكان الفردوس مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

والحمد لله رب العالمين

كتبه

صديقه ورفيق دربه

أبو خالد العسيري